

روح المعاني

إلا أن يقال : إن الله تعالى أعمى بصائرهم في هذه الدعوى ليكونوا ضحكة لأطفال المؤمنين أو أنهم قالوا ذلك على سبيل التعنت والعناد ليغيظ كل منهم صاحبه أو ليوهموا بعض المؤمنين طناً منهم أنهم لكونهم أميين غير مطلعين على تواريخ الأنبياء السالفين يزلزلهم مثل ذلك ففضحهم الله تعالى أو أن القوم في حد ذاتهم جهلة لا يعلمون وإن كانوا أهل كتاب وما ذكره ابن الحرث لا يدل على علمهم كما لا يخفى وقيل : إن مراد اليهود بقولهم : إن إبراهيم عليه السلام كان يهودياً أنه كان مؤمناً بموسى عليه السلام قبل بعثته على حد ما يقوله المسلمون في سائر المرسلين عليهم الصلاة والسلام من أنهم كانوا مؤمنين بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته كما يدل عليه تبشيرهم به وأن مراد النصارى بقولهم : إن إبراهيم كان نصرانياً نحو ذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله سبحانه : وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أي ومن شأن المتأخر أن يشتمل على أخبار المتقدم لا سيما مثل هذا الأمر المهم والمفخر العظيم والمنة الكبرى أفلا تعقلون ما فيهما لتعلموا خلوهما عن الأخبار بيهوديته ونصرانيته اللتين زعمتموهما ثم نبه سبحانه على حماقتهم بقوله جل وعلا : هأنتم هؤلاء أي انتم هؤلاء الحمقى حججتم فيما لكم به علم كأمر موسى وعيسى عليهما السلام فلم تحجون فيما ليس لكم به علم وهو أمر إبراهيم عليه السلام حيث لا ذكر لدينه في كتابكم أو لا تعرض لكونه آمن بموسى وعيسى قبل بعثتهما أصلاً وليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة وإنما المراد هب أنكم تحتاجون فيما تدعون علمه على ما يلوح لكم من خلال عبارات كتابكم وإشاراته في زعمكم فكيف تحتاجون فيما لا علم لكم به ولا ذكر ولا رمز له في كتابكم ألبتة ! ها حرف تنبيه واطرد دهولها على المبتدأ إذا كان خبره اسم إشارة نحو ها أنا ذا وكررت هنا للتأكيد وذهب الأخفش أن الأصل أن أنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاءاً ومعنى الاستفهام عنده التعجب من جهالتهم وتعقبه أبو حيان بأنه لا يحسن ذلك لأنه لم يسمع إبدال همزة الاستفهام هاءاً في كلامهم إلا في بيت نادر ثم الفصل بين الهاء المبدلة وهمزة أنتم لا يناسب لأنه إنما يفصل لاستثقال اجتماع الهمزتين وهنا قد زال الاستثقال بإبدال الأولى هاءاً والإشارة للتحقير والتنقيص ومنها فهم الوصف الذي يظهر به فائدة الحمل وجملته حاجتهم مستأنفة مبينة للأولى وقيل : إنها حالية بدليل أنه يقع الحال موقعها كثيراً نحو ها أنا ذا قائماً وهذه الحال لازمة وقيل : إن الجملة خبر عن أنتم و هؤلاء منادى حذف منه حرف منه حرف النداء وقيل هؤلاء بمعنى الذين خبر المبتدأ وجملته حاجيم صلة وإليه ذهب الكوفيون وقراءهم يقرءون ها أنتم بالمد والهمزة وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو بغير همز ولا مد إلا

بقدر خروج الألف الساكن وقرأ ابن كثير ويعقوب بالهمز والقصر بغير مد وقرأ ابن عامر بالمد دون الهمز واﻻ يعلم حال إبراهيم وما كان عليه .
وأنتم لا تعلمون .

663 - ذلك ولك أن تعتبر المفعول عاما ويدخل المذكور فيه دخولا أوليا والجملة تأكيد لنفي العلم عنهم في شأن إبراهيم عليه السلام ثم صرح بما نطق به البرهان المقرر فقال سبحانه : ما كان إبراهيم يهوديا كما قالت اليهود ولا نصرانيا كما قالت النصارى ولكن كان حنيفا أي مائلا عن العقائد الزائغة مسلما أي بمنقادا لطاعة الحق أو كوحدا لأن الاسلام يرد بمعنى التوحيد أيضا قيل : وينصره قوله تعالى : وما كان من المشركين .

. 76

- أي عبده الاصنام كالعرب الذين كانوا يدعون